

تفسير ابن كثير

وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ^ج قَالَ لَنْ تَرَاني وَلَكِنِ انظُرْ
إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَاني ^ج فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ
صَبَعًا ^ج فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ

يخبر تعالى عن موسى ، عليه السلام ، أنه لما جاء لميقات الله تعالى ، وحصل له التكليم
من الله [تعالى] سأل الله تعالى أن ينظر إليه فقال : ((143) رب أرنى أنظر إليك قال
لن تراني) وقد أشكل حرف " لن " هاهنا على كثير من العلماء ؛ لأنها موضوعة لنفي
التأييد ، فاستدل به المعتزلة على نفي الرؤية في الدنيا والآخرة . وهذا أضعف الأقوال ؛
لأنه قد تواترت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن المؤمنين يرون الله
في الدار الآخرة ، كما سنوردها عند قوله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة
ووجوه يومئذ باسرة) [القيامة : 22 ، 23] . وقوله تعالى إخبارا عن الكفار : (كلا إنهم
عن ربهم يومئذ لمحجوبون) [المطففين : 15] وقيل : إنها لنفي التأيد في الدنيا ، جمعا
بين هذه الآية ، وبين الدليل القاطع على صحة الرؤية في الدار الآخرة . وقيل : إن هذا

الكلام في هذا المقام كالكلام في قوله تعالى : (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) وقد تقدم ذلك في الأنعام [الآية : 103] . وفي الكتب المتقدمة أن الله تعالى قال لموسى ، عليه السلام : " يا موسى ، إنه لا يراني حي إلا مات ، ولا يابس إلا تدهده " ; ولهذا قال تعالى : (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا) قال أبو جعفر بن جرير الطبري في تفسير هذه الآية : حدثنا أحمد بن سهيل الواسطي ، حدثنا قرّة بن عيسى ، حدثنا الأعمش ، عن رجل ، عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لما تجلى ربه للجبل ، أشار بإصبعه فجعله دكا " وأرانا أبو إسماعيل بإصبعه السبابة هذا الإسناد فيه رجل مبهم لم يسم ، ثم قال حدثني المشنى ، حدثنا حجاج بن منهال ، حدثنا حماد ، عن ليث ، عن أنس ؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية : (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) قال : " هكذا بإصبعه - ووضع النبي صلى الله عليه وسلم إصبعه الإبهام على المفصل الأعلى من الخنصر - فساخ الجبل " هكذا وقع في هذه الرواية " حماد بن سلمة ، عن ليث ، عن أنس " . والمشهور : " حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس " ، كما قال ابن جرير : حدثني المشنى ، حدثنا هدبة بن خالد ، حدثنا

حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) قال : وضع الإبهام قريبا من طرف خنصره ، قال : فساخ الجبل - قال حميد لثابت : تقول هذا ؟ فرجع ثابت يده فضرب صدر حميد ، وقال : يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقوله أنس وأنا أكتمه ؟ وهكذا رواه الإمام أحمد في مسنده : حدثنا أبو المثنى ، معاذ بن معاذ العنبري ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا ثابت البناني ، عن أنس بن مالك ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) قال : قال هكذا - يعني أنه أخرج طرف الخنصر - قال أحمد : أرانا معاذ ، فقال له حميد الطويل : ما تريد إلى هذا يا أبا محمد ؟ قال : فضرب صدره ضربة شديدة وقال : من أنت يا حميد ؟ ! وما أنت يا حميد ؟ ! يحدثني به أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فتقول أنت : ما تريد إليه ؟ ! وهكذا رواه الترمذي في تفسير هذه الآية عن عبد الوهاب بن الحكم الوراق ، عن معاذ بن معاذ به . وعن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، عن سليمان بن حرب ، عن حماد بن سلمة به ثم قال : هذا حديث حسن صحيح غريب ، لا نعرفه إلا من حديث حماد . وهكذا رواه الحاكم في

مستدرکه من طرق ، عن حماد بن سلمة ، به . وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاهورواه أبو محمد الحسن بن محمد الخلال ، عن محمد بن علي بن سويد ، عن أبي القاسم البغوي ، عن هذبة بن خالد ، عن حماد بن سلمة ، فذكره وقال : هذا إسناد صحيح لا علة فيه .وقد رواه داود بن المحبر ، عن شعبة ، عن ثابت ، عن أنس مرفوعا وهذا ليس بشيء ، لأن داود بن المحبر كذاب ورواه الحافظان أبو القاسم الطبراني وأبو بكر بنحوه وأسنده ابن مردويه من طريقين ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن أنس مرفوعا بنحوه ، وأسنده ابن مردويه من طريق ابن البيلماني ، عن أبيه ، عن ابن عمر مرفوعا ، ولا يصح أيضا .وقال السدي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قول الله تعالى : (فلما تجلى ربه للجبل) قال : ما تجلى منه إلا قدر الخنصر (جعله دكا) قال : ترابا (وخر موسى صعقا) قال : مغشيا عليه . رواه ابن جرير .وقال قتادة : (وخر موسى صعقا) قال : ميتا .وقال سفيان الثوري : ساخ الجبل في الأرض ، حتى وقع في البحر فهو يذهب معوقال سنيد ، عن حجاج بن محمد الأعور ، عن أبي بكر الهذلي : (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) انقعر فدخل تحت الأرض ، فلا يظهر إلى يوم القيامة .وجاء في بعض

الأخبار أنه ساخ في الأرض ، فهو يهوي فيها إلى يوم القيامة ، رواه ابن مردويه . وقال
ابن أبي حاتم : حدثنا عمر بن شبة ، حدثنا محمد بن يحيى أبو غسان الكناني ، حدثنا
عبد العزيز بن عمران ، عن معاوية بن عبد الله ، عن الجلد بن أيوب ، عن معاوية بن قره
، عن أنس بن مالك ؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لما تجلى الله للجبال طارت
لعظمته ستة أجبل ، ف وقعت ثلاثة بالمدينة وثلاثة بمكة ، بالمدينة : أحد ، وورقان ،
ورضوى . ووقع بمكة : حراء ، وثبير ، وثور " . وهذا حديث غريب ، بل منكر وقال ابن
أبي حاتم : ذكر عن محمد بن عبد الله بن أبي الثلج ، حدثنا الهيثم بن خارجة ، حدثنا
عثمان بن حصين بن علاق ، عن عروة بن رويم قال : كانت الجبال قبل أن يتجلى الله
لموسى على الطور صما ملسا ، فلما تجلى الله لموسى على الطور دك وتفطرت الجبال
فصارت الشقوق والكهوف . وقال الربيع بن أنس : (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر
موسى صعقا) وذلك أن الجبل حين كشف الغطاء ورأى النور ، صار مثل دك من الدكاك
 . وقال بعضهم : (جعله دكا) أي : فته . وقال مجاهد في قوله : (ولكن انظر إلى الجبل
فإن استقر مكانه فسوف تراني) فإنه أكبر منك وأشد خلقا ، (فلما تجلى ربه للجبل)

فنظر إلى الجبل لا يتمالك ، وأقبل الجبل فدك على أوله ، ورأى موسى ما يصنع الجبل ،
فخر صعقا .وقال عكرمة : (جعله دكا) قال : نظر الله إلى الجبل ، فصار صحراء ترابا
.وقد قرأ بهذه القراءة بعض القراء ، واختارها ابن جرير ، وقد ورد فيها حديث مرفوع ،
رواه ابن مردويه .والمعروف أن " الصعق " هو الغشي هاهنا ، كما فسره ابن عباس وغيره ،
لا كما فسره قتادة بالموت ، وإن كان ذلك صحيحا في اللغة ، كقوله تعالى : (ونفخ في
الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا
هم قيام ينظرون) [الزمر : 68] فإن هناك قرينة تدل على الموت كما أن هنا قرينة تدل
على الغشي ، وهي قوله : (فلما أفاق) والإفاقة إنما تكون من غشي . (قال سبحانه)
تنزيها وتعظيما وإجلالا أن يراه أحد من الدنيا إلا مات .وقوله : (تبت إليك) قال مجاهد
: أن أسألك الرؤية . (وأنا أول المؤمنين) قال ابن عباس ومجاهد : من بني إسرائيل .
واختاره ابن جرير . وفي رواية أخرى عن ابن عباس : (وأنا أول المؤمنين) أنه لا يراك
أحد . وكذا قال أبو العالية : قد كان قبله مؤمنون ، ولكن يقول : أنا أول من آمن بك أنه
لا يراك أحد من خلقك إلى يوم القيامة .وهذا قول حسن له اتجاه . وقد ذكر محمد بن

جرير في تفسيره هاهنا أثرا طويلا فيه غرائب وعجائب ، عن محمد بن إسحاق بن يسار
رحمه الله وكأنه تلقاه من الإسرائيليات والله تعالى أعلم .وقوله : (وخر موسى صعبا)
فيه أبو سعيد وأبو هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم فأما حديث أبي سعيد ، فأسنده
البخاري في صحيحه هاهنا ، فقال :حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا سفيان ، عن عمرو
بن يحيى المازني ، عن أبيه ، عن أبي سعيد الخدري ، رضي الله عنه ، قال : جاء رجل
من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم قد لطم وجهه ، فقال : يا محمد ، إن رجلا من
أصحابك من الأنصار لطم وجهي . قال : " ادعوه " فدعوه ، قال : " لم لطمت وجهه ؟ "
قال : يا رسول الله ، إني مررت باليهودي فسمعتة يقول : والذي اصطفى موسى على
البشر . قال : قلت : وعلى محمد ؟ فأخذتني غصبة فلطمته ، قال : " لا تخيروني من بين
الأنبياء ، فإن الناس يصعقون يوم القيامة ، فأكون أول من يفيق ، فإذا أنا بموسى آخذ
بقائمة من قوائم العرش ، فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور " .وقد رواه البخاري
في أماكن كثيرة من صحيحه ، ومسلم في أحاديث الأنبياء من صحيحه ، وأبو داود في
كتاب " السنة " من سننه من طرق ، عن عمرو بن يحيى بن عمارة بن أبي الحسن المازني

الأنصاري المدني ، عن أبيه ، عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري ، بهوأما
حديث أبي هريرة فقال الإمام أحمد في مسنده :حدثنا أبو كامل ، حدثنا إبراهيم بن سعد
، حدثنا ابن شهاب ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وعبد الرحمن الأعرج ، عن أبي
هريرة ، رضي الله عنه ، قال : استب رجلان : رجل من المسلمين ، ورجل من اليهود ،
فقال المسلم : والذي اصطفى محمدا على العالمين . وقال اليهودي : والذي اصطفى
موسى على العالمين ، فغضب المسلم على اليهودي فلطمه ، فأتى اليهودي رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فسأله فأخبره ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاعترف
بذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تخيروني على موسى ; فإن الناس
يصعقون يوم القيامة ، فأكون أول من يفيق ، فأجد موسى ممسكا بجانب العرش ، فلا
أدري أكان ممن صعق فأفاق قبلي ، أم كان ممن استثناه الله ، عز وجل " . أخرجاه
في الصحيحين ، من حديث الزهري ، بهوقد روى الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا ، رحمه
الله : أن الذي لطم اليهودي في هذه القضية هو أبو بكر الصديق ، رضي الله عنه ولكن
تقدم في الصحيحين أنه رجل من الأنصار ، وهذا هو أصح وأصرح ، والله أعلم .والكلام

في قوله ، عليه السلام : " لا تخيروني على موسى " ، كالكلام على قوله : " لا تفضلوني على الأنبياء ولا على يونس بن متى " ، قيل : من باب التواضع . وقيل : قبل أن يعلم بذلك . وقيل : نهى أن يفضل بينهم على وجه الغضب والتعصب . وقيل : على وجه القول بمجرد الرأي والتشهي ، والله أعلم . وقوله : " فإن الناس يصعقون يوم القيامة " ، الظاهر أن هذا الصعق يكون في عرصات القيامة ، يحصل أمر يصعقون منه ، والله أعلم به . وقد يكون ذلك إذا جاء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء ، وتجلي للخلائق الملك الديان ، كما صعق موسى من تجلي الرب ، عز وجل ، ولهذا قال ، عليه السلام : " فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور " ؟ وقد روى القاضي عياض في أوائل كتابه " الشفاء " بسنده عن محمد بن محمد بن مرزوق : حدثنا قتادة ، حدثنا الحسن ، عن قتادة ، عن يحيى بن وثاب ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لما تجلى الله لموسى ، عليه السلام ، كان يبصر النملة على الصفا في الليلة الظلماء ، مسيرة عشرة فراسخ " ثم قال : " ولا يبعد على هذا أن يختص نبيا بما ذكرناه من هذا الباب ، بعد الإسراء والحظوة بما رأى من آيات ربه الكبرى . انتهى ما قاله ، وكأنه صحح هذا الحديث ، وفي صحته نظر ،

ولا يخلو رجال إسناده من مجاهيل لا يعرفون ، ومثل هذا إنما يقبل من رواية العدل
الضابط عن مثله ، حتى ينتهي إلى منتهاه ، والله أعلم .